العاذلة تجليات الذات والصوت الآخر في شعر عروة بن الورد

د. حسن موسى بوسنينه ـكلية التربيةـ جامعة اجدابيا

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع العاذلة عند عروة بن الورد ، حيث برزت المرآة فيه بوضوح ، تلومه ، وبصور مختلفة ، على كرمه وإنفاقه للمال ، إكرامًا للضيف ، وبذلًا للسائل ، فيردّ هو بأنّ فعله هذا ، كسبًا للحمد والثناء ، والذكر الحسن ، وبقاء الأحاديث ، بعد فناء الإنسان .

وقد اعتمد الشاعر في رسم صورة العاذلة ، على تقنية الحوار والإقناع ، فكأنّه يشاركها الرأي والمشورة ، ولكن هذه المشاركة لا تتجاوز حدود الإصغاء لخطاب تلك العاذلة ، دون أن تحدث تغييرًا في نهج حياته .

كما افترضنا في هذا السياق ، أنّ الشاعر يخاطب عاذلته ظاهرًا ، ولكنّه يضمر حديثًا بينه وبين نفسه ، في فهم معنى الحياة والموت ، من خلال هذا الحوار الضمني ، بينه وبين العاذلة ، ولعلّ ما في طبيعة المرآة من حرص وإشفاق وخوف ، يعينه على ذلك ، وإن كان افتراض وجود العاذلة أمرًا صحيحًا .

وتمّ تقسيم البحث إلى : مقدّمة ، ثمّ تمهيد تناول لمحات عن العذل ، وموضوعاته في الشعر القديم ، وتوزعت دراسة النصوص الشعرية على مبحثين : الأول ينطوي على مفهوم العذل ، وبنيته الحوارية ، وتفردت بواعث العذل الاقتصادية والاجتماعية ، بالمبحث الثاني ، ثمّ الخاتمة التي تضمّ نتائج وتوصيات البحث ، تليها قائمة المصادر والمراجع .

وَإِن جارَتي أَلوَت رِياحٌ بِبَيتِها تَغافَلتُ حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه

Summary

This study deals with the issue of the woman in Urwah ibn al-Ward, where the mirror appeared in him clearly, blaming him, in different ways, for his generosity and his spending of money, in honor of the guest, and in devotion to the questioner. The human

.

The poet relied on the technique of dialogue and persuasion in drawing the image of the virtuous woman, as if he shares her opinion and advice, but this participation does not go

beyond the limits of listening to the speech of the virtuous one, without making a change in his lifestyle.

We have also assumed in this context that the poet addresses his selfless woman outwardly, but he harbors a conversation between himself and himself, in understanding the meaning of life and death, through this implicit dialogue, between him and the woman, and perhaps the nature of the mirror of concern, compassion and fear will help him in that. The premise was correct.

The research was divided into: an introduction, then a preface that dealt with glimpses of humiliation, and its topics in ancient poetry, and the study of poetic texts was divided into two topics: the first involved the concept of humiliation and its dialogue structure, and the economic and social motives of humiliation were singled out in the second topic, and then the conclusion that includes findings and recommendations Research, followed by a list of sources and references.

المقدمة

حظي الشعر الجاهلي بعناية الدارسين ، فتراكمت دراسات متنوّعة حول هذه المدوّنة ، لما تتوفر عليه من قراءات متعددة ، ولا تزال قصائد الجاهليين ، تشدّنا وتسحرنا ، بسبب من قيمتها الفنّية ، وثراء مضامينها وعمقها .

وممّا لا شكّ فيه ، أنّ الشعر فنّ تتيح مساحاته الرحبة لقائله ، أن يعبّر عن ذاته ، ونظرته إلى ما يحيط به من قضايا ، وصورة تعكس بجلاء ، التجارب الإنسانية لأصحابها ، وما فيها من دلالات اجتماعية ونفسية ، ومن جملة تلك التجارب ، مواجهة الشاعر للعذل واللوم ، على فعله السلوكي ، لذا نجد أنّ شعر العذل ، واحد من الجوانب التي تستدعي الدراسة والبحث ، ولعلّ من أبرز الدراسات التي عالجت ظاهرة العذل : عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى العصر الأموي للباحثة ، أسماء عبد الله (رسالة ماجستير) ، والعذل في الشعر الجاهلي ، للدكتور حسني عبد الجليل ، وتتناول هذه الدراسة : ظاهرة العذل في شعر عروة بن الورد ، فقد برزت فيه بوضوح ، وفي عدد غير قليل من نصوصه ، وبصور مختلفة ، ودار العذل في شعره كله ، حول الكرم ، وإنفاق المال ، كسبًا للحمد والثناء ، والذكر الحسن وبقاء الأحاديث .

و رغم صعوبة شعر الصعاليك لغةً ومضمونًا ، إلا أنّ أهمية الظاهرة تستوجب الدراسة ، وخوض غمارها ، ولعلّه من المناسب في هذه الدراسة اتباع المنهج الوصفي الذي يرصد الظاهرة ، ويفسرها، ويحللها وصولًا بها إلى نتائج ، وحقائق ، ولكن نظرًا لتداخل المناهج البحثية ، فإنّ المنهج التكاملي هو ما قد يساعدنا ليكون مسارًا واضحًا في دراستنا هذه .

ويقوم البحث على فرضية أنّ شعر ابن الورد ، اتصل بفلسفة صاحبه في الحياة ، واتصال كل قصائده بالواقع الذاتي للشاعر ، التي بدت ذاتًا متمرّدة ، رافضة لسلطة الذات الجمعية (القبيلة) ، كما افترضنا أنّ حوار العاذلة هو حوار لذات الشاعر – وإن كان هذا لا يمنع وجود العاذلة في حياته – التي يخوض معها صراعًا داخليًا ، ظهر في قصائده ومقطوعاته ، بتلك البنية الحوارية ، وهو الأمر الذي استدعى وضع هذه الظاهرة تحت المجهر ، ومحاولة دراستها وتفحّصها لاستجلائها ، وكشف أغوارها .

وتمّ تقسيم البحث إلى : مقدمة ، ثمّ تمهيد يتناول لمحات عن العذل ، وترجمة للشاعر، وجاءت قراءة النصوص الشعرية على مبحثين : الأول ينطوي على مفهوم العذل ، وبنيته الحوارية ، ليبيّن وظيفة الحوار في النصوص العذلية عند عروة ، بأنّها بناء لشخصية الشاعر ، وبناء للحدث موضوع العذل ، وإنّ صوت العاذلة والرّد عليه ، يقدم لنا حوارًا قصصيًا بين الشاعر وعاذلته ، وتفرّدت بواعث العذل الاقتصادية والاجتماعية ، بالمبحث الثاني ، لمعرفة البواعث التي أظهرت الحوارات العذلية ، وإن كان يصعب الفصل بينها لتداخلها وتمازجها ، إلّا أنّ محاولة تناولها ، تساعد على فهم الذات القلقة لدى الشاعر ، وما يعتنقه من أراء ومبادئ دافع عنها ونقلها لنا ، من خلال حوارته العذلية ، ثمّ الخاتمة التي تضمّ نتائج وتوصيات البحث ، تليها قائمة المصادر والمراجع .

التمهيد

للعذل تجلياته التي تتقاطع دلالتها المعجمية مع دلالتها الشعرية ، وأظهر هذه التجليات : الرقيب والحاسد والكاشح والواشي واللائم ، وقد اختير العذل عنوانا لموضوع هذا البحث ليكون جامعًا للحقل الدلالي الذي تنضوي تحته سائر الألفاظ الدالة على اللوم والوشاية والترصد والتربص. وللعاذل حضوره في الشعر العربي القديم ، فمنذ العصر الجاهلي نطالع في النصوص الشعرية لتلك الحقبة قصائد وأبياتا يكون للعاذل فيها دور ووظيفة ضمن البنية الكلية للقصيدة ، وربما ارتبط العذل في تلك القصائد بالمرأة غالبا ، فكانت المرأة تعذل صاحبها على إتلافه المال ، أو مخاطرته بحياته ، وكلا الأمرين لديها عظيم ، فإتلاف المال يؤول بها الى الفقر والعوز، وإتلاف روحه يفقدها عائلها .

وقد يكون العذل من الشاعر لغيره حينما يكون الحديث عن الشيب أو القبيلة أو العلاقات الأسرية ، أو أن يكون العذل موجهًا للشاعر متناولًا الحزن والفقد الإنساني ، أو العشق المؤدي إلى الهلاك ، أو الحنين إلى الأوطان ، أو الغزل الحسّي وشرب الخمر ، أو العذل في البخل .

وهذه العذليات الأخيرة ، وجدت في قصائد لشعراء في العصر الجاهلي ، إلّا أنّنا لم نجدها عند عروة ، حيث اقتصر حديث العذل عنده في ديوانه ، على الكرم وإتلاف المال ، والمخاطرة بنفسه .

وقد اتفق عروة في هذا المسلك مع حاتم الطائي ، حيث اقتصر حديث العذل عنده ، على الكرم وإتلاف المال ، وبذله للضيوف والمحتاجين.[1]

فالعذل في الشعر، نسق من الصياغة الشعرية ، يستحضر فيه الشاعر صوتا آخر غير صوته المباشر، أو يجرّد من نفسه نفسا أخرى يحاورها على سبيل التقليد الفني المتوارث الذي لا يعرف جذره ، مثلما وقف الشعراء على الطلل ، و بكوا الضعن و كلموا الحجارة و الأثافي ، كل ذلك على سبيل التقليد الفني ، والعذل الذي يجابه الشاعر يصدر دومًا عن امرأة ، لأنّ اللوم والملاحاة والعذل ، أقرب إلى نفوس النساء منه إلى نفوس الرجال ، والعذل يدور حول مواقف من بعض القضايا الاجتماعية مثل : الإفراط في شراب الخمور والإسراف في الكرم وركوب الأهوال والسفر والتغرب والشيب ، وغيرها يلح الشعراء القدامى على موضوعات بعينها ، و يكثرون من طرقها ، من ذلك حقيقة أن النساء يحببن المال ويفتدين صاحبه بالغالي والنفيس .

إنّ عصيان العاذلة من مفاخر الشعراء ، إذ صرحوا بهذا في مواضع كثيرة وعدّوا عصيانهم لعواذلهم دليل رسوخ إيمانهم بأفكارهم ، واعتزازهم بسلوكهم .

والعذل يمثل موقفًا رافضًا لأمر ما ، أو إقرارًا لممارسة اجتماعية ، تواجه باعتراض الموت الآخر ، أو تعبيرًا عن فلسفة الشاعر في قضايا الموت والحياة ، والشاعر دائم الشكوى من هذا اللوم ، يضيق به ذرعًا ويرفض الإذعان له.[2]

نجد ذلك عند «عروة بن الورد» و«حاتم الطائي» وغيرهما ، ثم يكتسب العذل في الشعر العربي دلالات أخرى ، لا سيما بعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، وما أحدثه من تغيرات اجتماعية واقتصادية ، أدّت إلى بروز قيم جديدة ، وعادات وتقاليد تتسق وطبيعة الدين الجديد.

من هنا أصبح للعاذل حضوره الأكبر في قصائد الغزل ؛ سواء منها الحسّي أو العذري ، بما هو واحد من أهم عناصر المشهد الشعري ، وشريك تشكيل علاقات النص ، وعلى رأسها العلاقة بين هذه البنية وثنائية البوح والكتمان التي حفل بها النص الشعري عند عروة .

ومن هنا ، اتخذت الدراسة من هذه الافتراضات الرئيسية منطلقًا لها لتدرس العذل ، بوصفه بنية لافتة في النص الشعري عند عروة ، وتكشف عن العلاقات التي بني عليها النص الذي يعدّ «العاذل» فيه عنصرًا تكوينيًا بارزًا ،

[1] - ينظر ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي ، د. علي أبو زيد ، ص : 88 وما بعدها .
[2] - حوار العاذلة في الشعر القديم ، خالد ناجي السامرائي ، ص : 859 .

يحمل دلالات عدة ، ويمكن أن يقودنا إلى سبر مدى تأثيره ، في تشكيل البنية الحوارية الشعرية للقصيدة عند عروة ، وذلك من خلال تحليلها وتفكيك آلياتها لإدراك الأبعاد المختلفة للنص ، وصولًا إلى محاولة فهمه وتأويله .

وقد عاش هذا الشاعر في العصر الجاهلي ، فهو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب العبسي ، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها ، وزاد الأصفهاني : وصعلوك من صعاليكها المقدمين المعدودين الأجواد ، وكان يلقب بعروة الصعاليك ، لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم ، فهو أبو الصعاليك وداعية لمذهب الصعلكة في سبيل إقامة نوع من العدالة الاجتماعية بين فئات المجتمع . [3]

المبحث الأول

مفهوم العذل وبنيته الحوارية .

تدور مادة : (عذل) حول دلالات متعددة مع أصل المعنى ، فأصلها (العَذْل) وهو أصل صحيح يدل على حرّ وشدة فيه ، ثم يقاس عليه ما يقاربه من ذلك اعتذل الحرَ واشتد .

فالعذَل في اللسان : اللوم ، والعذل مثله ، عذله يعذله عذلا وعذَله فاعتذل ، وتعذّل : لامه فقبل منه وأعتب ، والاسم العذل وهم : العذّالُ والعذلة والعواذل من النساء جمع العاذلة ويجوز العاذلات ، ابن الإعرابي : العذل : الإحراق ، فكأن اللائم يحرق بعذله قلب المعذول . [4]

ويرتبط العذل باللوم ارتباطًا وثيقًا ، حيث يتفق معه في المعنى ، وإن كان العذل أشد وقعًا في النفس . [5]

والعذل هو اللوم كما ورد في اللسان ، وعذله لامه ، واللوم قد يقع بفعل خارجي ، وقد يكون صراعًا داخليًا كما دلت عليه الآية (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) . [6]

وهناك العذل الفردي والجمعي والذكوري والأنثوي ، لكن الغالب في شعر العرب صوت العذل الأنثوي . [7]

فالمرأة العاذلة : هي امرأة كثيرة العذل واللوم ، لحوحة في استعطافها ، تجسد قلق الذات الذي يحاول الشاعر إخفاؤه خلف ذلك الصوت ، رافضًا الإقرار به ، ومحملًا المرأة خلجاته ، خالعًا صراعه عليه .

فالشخصية العذلية في النصوص هي تلك البنية العميقة التي تتجلى للشاعر في كل فكرة أو فعل أو إدراك ، استجابة لرغبة الشاعر ، فتظهر كذات منفصلة متفاعلة مع الحدث العذلي . [8]

---

[3] - مجموع أشعار الصعاليك ، محمد حمزة ، ص : 54، موسوعة الشعراء الصعاليك ، د حسن جعفر ،ج 2 ، ص : 66 .
[4] - لسان العرب ، حرف العين عذل ، ج : 10 ، ص : 81 .
[5] - عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي ، أسماء بنت محمد الزيد ، ص : 10 .
[6] - القرآن الكريم ، سورة القيامة ، الآية : 2 .
[7] - العاذلة قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، مريم حسن الحارثي ، ص : 405 .
[8] - المرجع نفسه ، ص : 415 .

وتظل ذاتية الشاعر تنسج نماذج قصصية تتناول شخصية الشاعر في إطار الحديث عن كرمه ، وعدم جدوى ماله عند موته ، فهو يعمد إلى لغة الحوار بينه وبين ذاته من خلال لغة التجريد ، حيث يتخذ من نفسه شخصًا آخر يلومه على كرمه ، بحيث يستدعي الشاعر العاذلة لتكون وسيلة للحديث عن مفاخره وعطائه الحميد .

لذا يرى بعض الباحثين أنّ العاذلة قد تمثل الصوت الداخلي للشاعر ، فالحوار الذي يدور بين الشاعر والعاذلة إنّما هو حديث يجري بينه وبين نفسه .[9]

ويبدو أنّ اللغة الحوارية تكررت في بواعث متعددة للعذل ، وظل ذلك مرتبطًا بطبائع الأحداث التي تمرّ على الشاعر ، فيعكس رؤيته تجاه تلك الأحداث حول من يناجي ، ومن يتحاور معه ، فيكشف الحوار معاناة الشاعر النفسية .[10]

ويرصد بعض الباحثين بالتحليل : الاختلافات الفنية الجوهرية بين بنية قصيدة العذل في الشعر الجاهلي ، وبين البنية التقليدية للقصيدة العربية آنذاك .

ومن هذه الفروق الجمالية أن قصيدة العذل ذات بنية حوارية يستغرقها موضوع واحد ، هو موضوع "العاذلة" والرد عليها من قِبَل الشاعر، فيما يمكن أن تعد العاذلة رمزيًا هي الصوت الواعي الداخلي للشاعر، أو قناعًا لمخاطبة الذات والحوار معها ، ومن ثم فالقصيدة التي تكون العاذلة موضوعًا لها - وبخاصة حين ترد من أول القصيدة - تنتظمها وحدة موضوعية واحدة ، وهو فارق أساسي بالنظر إلى البنية التقليدية للقصيدة العربية ثلاثية التقسيم : (النسيب - الرحلة – الغرض) .[11]

النزعة التجديدية .

من خصائص شعر عروة أنّنا لم نرَ منه وقوفًا على الأطلال ، ولا بكاء على الديار ، ولا تشبيبًا بالمحبوبة الظاعنة ، ولا وصفًا للجواد أو الناقة ، وغيرها ممّا أعتاد عليه شعراء الجاهلية ، ولهذا يمكن القول أنّنا أمام شاعر مجدد خرج عن الأطر التقليدية النمطية ، وهذا ملائم لرجل منطلق حر يرفض القهر والاستبداد ، ويرفض الجور والظلم الاجتماعي ، فشعره خرج بعيدًا عن التقليد إلى آفاق رحبة ، وإلى أغراض إنسانية سامية .[12]

عروة والوجود .

أحاطت بالإنسان الجاهلي مشاكل كثيرة ، ظلت تؤرقه وتقض مضاجعه ، وتشغل تفكيره منذ نشأته ، ولعل أهمّها مشكلة الحياة والموت ، تلك المشكلة الوجودية التي أثارت في كل نفس مضطربة تساؤلات عديدة عن جدلية الحياة

9 - السرد في شعرية عروة بن الورد ، حسيبة برجة ، ص : 23 .
10 - المرجع نفسه ، ص : 25 .
11 - المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، أحمد سليمان امهنا ، ص : 39 .
12 - الصورة البيانية في شعر عروة بن الورد ، سوده موسى بله ، ص : 28 .

والموت ، ويبدو أن الإنسان في مواجهة حوادث الدهر ، كالفريسة أو الصيد أو الذبيحة التي يبحث عنها بشوق ولهفة ، وهي تمثل بشاعة الوجود ، وتكشف عن إحساسه بالفجيعة التي تنتظر الإنسان ، وذلك ما أحسّه عروة ، وعرف قيمته ، فكان على يقين أكبر بأن الموت منهل يرده كل الناس ، ولا يمكن لأي فرد أن ينجو من سهامه ، أو يظهر بالخلود لمال أو جاه أو سلطان .

فإدراك عروة بأنّ الموت آت لا محالة ، جعله يقرر أن يواجه الموت ، وأن يخلّد نفسه بما يقوم به من أعمال تجعله مدار الأحاديث بين الناس بعد موته ، فأدرك بذلك حقيقة الوجود الإنساني المتناهي على هذه الأرض ، وأنّ خلود الإنسان لا يكون بمواجهة الموت أو الاستعلاء عليه ، بل يكون بالأعمال التي تخلّده بعد فنائه ، فعروة كان حريص أشدّ الحرص على شراء الحمد والثناء في حياته ، لأنّ ذلك يحقق له متعة الحياة ، ويبقي أثره حيًا بعد مماته . [13]

يقول عروة : [14]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللّومَ يَا ابنَةَ مُنـذِرٍ وَنَامِي فَإِن لَم تَشتَهِي النَّومَ فَاسهَرِي
ذَرِينِي وَنَفسِي أَمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي بِهَا قَبلَ أَلّا أَملِكَ البَيعَ مُشتَرِي
أَحَادِيثَ تَبقَى وَالفَتَى غَيرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أمسَى هَامَةً فَوقَ صُيَّرِ

" وهي أحاديث كان كل صعلوك يحرص على أن تبقى له بعد موته " . [15]

ويرى بعض الباحثين أنّ عروة لم يتأمل هذه القضية طويلًا ، غير أنّه استشعرها بدليل قرنه خلود الأحاديث بفناء الإنسان ، ولا أدلّ من حياته التي كانت تجسيداً لشعوره بهذه القضية . [16]

" ولو أدرك معاصروه من الشعراء هذه القضية ، لأيقنوا أنّ شعرهم الذي أبدعوه هو الذي سيخلّدهم ، ولأقصروا بعض الإقصار عمّا هم فيه من حديث الموت والفناء " . [17]

وهذا القول ينم عن فهم عميق بقلق الشاعر الجاهلي ، وأرقه من مشكلة ثالوث الموت والحياة والخلود ، ذلك الثالوث الذي أقض مضجعه ، وجعله يتلمّس طريقه إلى الخلود ، بما يمكن أن يهتدي إليه من محاولات قد لا تسعفه في نيل هدفه .

ولعلّ من هذه المحاولات الحوارية ، خطاب الشخص الميت الذي يدخل في إطار الخطاب المجازي في الشعر الجاهلي ، ويثير هذا اللون من الخطاب أشياء أساسية ، كانت متعلقة بعقيدة الجاهليين ، فقد اعتقدوا أنّ الميت وإن

13 - تجليات القلق في شعر عروة بن الورد ، قراءة نفسية ، أ عوراي نصيرة .
14 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 35 .
15 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د . يوسف خليف ، ص : 38 .
16 - ينظر شعرنا القديم والنقد الجديد ، وهب رومية ، ص : 290 .
17 - المرجع نفسه ، ص : 291 .

دفن جسده ، تبقى روحه حاضرة ، لذلك تظلّ مناجاة الميت أمرًا مقررًا في المعتقد الجاهلي ، وهذا يعني أنهم يناجون الميت ، لاعتقادهم أن روحه ترفرف بينهم .

وأكثر ما وجدت هذه الظاهرة عند عروة في كثير من قصـــائده ومقطوعاته التي تبدأ بحوار بينه وبين صـــاحبته ، وهي تلومه على كرمه وإســـرافه ، وتعاتبه على مخاطرته بحياته ، وتغريه على البقاء إلى جانبها ، إما بمعســـول الكلام ، يقول من الطويل : [18]

تَقُولُ سُلَيمَى لَو أَقمتَ لَسَرَّنَا وَلَم تَدرِ أَنِّي لِلمُقَامِ أَطَوَّفُ

أو البكاء والدموع التي تسقط من عيونها الجميلة ، يقول من الطويل : [19]

تَقُولُ ألا أقصِر مِنَ الغَزوِ وَاشتَكَى لَهَا القَولَ طَرفٌ أحوَرُ العَينِ دَامِعُ

وفي أحيان أخرى تخوفه من الأعداء الذين سيقتلونه ، يقول من الطويل : [20]

أَرَى أُمَّ حَسّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الأَعدَاءَ وَالنَّفسُ أَخوَفُ

أما هو فيجيبها بأنه لا يفعل هذا إلا من أجل المجد الخالد ، والأحاديث الباقية ، وقد باع نفســه وقرر أن يشــترى بها هذه الأحاديث ، يقول من الطويل : [21]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللّومَ يَا ابنَةَ مُنذِرٍ وَنَامِي فَإِن لَم تَشتَهِي النَّومَ فَاسهَرِي

ذَرِينِي وَنَفسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي بِهَا قَبلَ أَلّا أَمِلِكَ البَيعَ مُشتَرِي

أَحَادِيثَ تَبقَى وَالفَتَى غَيرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمسَى هَامَةً فَوقَ صَيّرِ

تُجَاوِبُ أَحجَارَ الكِنَاسِ وَتَشتَكِـــي إِلَى كُلِّ مَعرُوفٍ رَأَتهُ وَمُنكَـــــرِ

ذَرِينِي أُطَوِّف فِي البِلادِ لَعَلَّنِـــي أُخَلِّيكِ أَو أُغنِيكِ عَن سُوءِ مَحضَرِي

فَإِن فَازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُـــن جَزُوعاً وَهَل عَن ذَاكَ مِن مُتَأَخَّـــرِ

وَإِن فَازَ سَهمِي كَفَّكُم عَن مَقَاعِدٍ لَكُم خَلفَ أَدبَارِ البُيُوتِ وَمَنظَـــرِ

18 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 51 .
19 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 48 .
20 - المصدر نفسه ، ص : 51 .
21 - المصدر نفسه ، ص : 35 – 36 ، صير : حجارة تجعل كالحضيرة ، الكناس : موضع .

وهو هنا لا يجزع من الموت ولا يخاف منه ، وهل يملك الإنسان تأخير ساعته إذا اقتربت ؟ إنّه يعلم أن لكل إنسان يومًا ، فإذا جاء يومه فلا متأخر عنه " وهل عن ذاك من متأخر ".

تتكون البنية الحوارية لهذه القصيدة من ثلاث شرائح ، الشريحة الأولى شريحة العاذلة ، والثانية شريحة الصعلوك ، والثالثة شريحة الفخر ، وعلى الرغم من وجود ترابط بين هذه الشرائح من حيث موضوع الصعلكة الذي يمكن تلمّسه فيها ، إلا أنه ثمة علائق أخرى على صعيد البنية الحوارية ، تنكشف في علاقات العناصر ضمن كل شريحة ، وعلاقات بنائية بين الشرائح الثلاث تجعل من القصيدة ذات نظام أقدر على تقديم رؤية مكتملة .

حيث تتشكل الشريحة الأولى من موقفين : موقف الشاعر من الصعلكة (موقف الأنا) ، وموقف المرآة العاذلة من الصعلكة (موقف الآخر) ، إذ انبنت البنية الحوارية من رؤية جدلية بين الموقفين ، فالعاذلة تخوّفه من الموت ، في حين يخالف الشاعر هذا الموقف ، ويرى أن " الفتى غير خالد " ، وأنه يفضل بقاء ذكره من بعده ، ويستند في إقرار رؤيته على حوارية جدلية بين الغنى والفقر ، ونتيجة كل منهما على العاذلة ، فهذه البنية تجسد في النهاية العلاقة الجدلية بين الغنى والفقر ، وبين التمسك بالحياة ، وعدم الخوف من الموت .

على هذه الشاكلة يصوغ عروة رؤيته الخاصة من خلال تشابك العلائق بين الأطراف على نحو أدّى إلى قلب التصورات المستقرة ، فالانحراف لم ينبن من خلال الشاعر كطرف وحيد في هذه الشريحة فحسب ، وإنما هو انحراف في الرؤيا ، وهذا الانحراف يفسح المجال لإعادة النظر في الأطراف السابقة : العاذلة والشاعر اللذين كانا على طرفي نقيض ، فهما ليسا إلا رمزًا لانشقاق ذات الشاعر وتعارضات الأنا ، ودخولها في حوار مع ذاتها ، ولذلك امتازت الأبيات بذكر الموت ، الموت الذي يريده الشاعر وليس العاذلة .

إنّ هذا التعالق بين الأطراف وتجسيدها لأكثر من علاقة بين أطرافها ، يجعل البنية قائمة على التشابك لا محض التجاوز ، بحيث تقيم حوارًا جدليًا واضحًا يشكل في مجمله كلًا واحدًا متشابك الأطراف والبنى .

وقد يحاول أن يهدي من روعها ، ويخبرها أنه إذا كتب له أن يموت ، فلا مفر من ذلك ، سواء أخرج إلى غزوته أم بقي إلى جانبها ، فهو لا يضمن إذا تخلف عن المغامرة والمخاطرة بنفسه ألا يدركه الموت ، وهو في عقر داره ، يقول من الطويل : [22]

أَرَى أُمَّ حَسّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي ... تُخَوِّفُنِي الأَعدَاءَ وَالنَّفسُ أَخوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَى لَو أَقمتَ لَسَرَّنَا ... وَلَم تَدرِ أَنِّي لِلمُقَامِ أَطَوَّفُ

لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفتِنَا مِن أَمَامِنَا ... يُصَادِفُهُ فِي أَهلِهِ المُتَخَلِّفُ

[22] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 51 .

ومن خلال هذه البنية الحوارية التي تنم عن مودة وحب ، يلفت عناية انتباهها إلى أنّهما ليســـا شـــيئًا واحدًا ، وإنما هما تركيبة متجانسة متناغمة لا تنفك إلا أن تنفصل بسنّة الله في خلقه ، يقول من الطويل : [23]

أَلَم تَعلَمِي يَا أَمَّ حَسَّانَ أَنَّنَا خَلِيطُ زِيَالٍ لَيسَ عَن ذَاكَ مقصَرُ

وَأَنَّ المَنَايَا ثَغرَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ فَهَل ذَاكَ عَمَّا يَبتَغِي القَومُ مُحصِرُ

" ولا شك في أن التقرير الذي يتولّد عن الاستفهام المنفي بلم ليس تقريرًا وإنما هو طلب لتقرير أو طلب إقرار" [24]

فالبنية الحوارية في النصوص العذلية تقوم على ثنائية صوتية (حوار خارجي) ، متنقلة بين صيغه المختلفة مباشرة وغير مباشرة ، وغالبًا يكون صوت العاذلة هو المثير لفكرة العذل ، ونجد في المقابل صوت الشاعر مبررًا ومدافعًا عن موقفه .

وإن لم تفلح هذه المســـلمات في تهدئة روعها ، وتطيب خاطرها ، فيذكرها بما أوتي من عزة ومنعة ، إلّا أنّ ذلك لا يمنع عنه الموت ، يقول من الطويل : [25]

فَكَيفَ وَقَد ذَكَّيتُ وَاشتَدَّ جَانِبـــي سُلَيمَى وَعِندِي سَامِعٌ وَمُطِيعُ

لِسَانٌ وَسَيفٌ صَارِمٌ وَحَفِيظَـــةٌ وَرَأيٌ لِآرَاءِ الرِّجَالِ صَرُوعُ

تُخَوِّفُنِي رَيبَ المَنونُ وَقَد مَضَى لَنَا سَلَـفٌ قَيسٌ مَعاً وَرَبِيعُ

وتظهر كثرة العذل والملامة كثرة الحب ، وتكشف كثرة الاعتذار ، وتطيب الخاطر عن عمق المودة والاحترام ، ولا يعكر الموت صفو ذلك ، يقول من الطويل : [26]

سَلِي الطّارِقَ المُعتَرَّ يَا أَمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَينَ قِدرِي وَمَجزِرِي

أَيُسفِرُ وَجهِي إِنَّهُ أَوَّلُ القِـــرَى وَأَبذُلُ مَعرُوفِي لَهُ دُونَ مُنكَـــرِي

" فالكلام هنا موجّه من الشاعر لزوجته التي يبدو أنّها عهدت منه كرمًا وجودًا في كلّ الأوقات ، نحو كلّ السائلين ، والواقفين عند الباب في كل وقت ، ممّن يطرق بابه ، دون تقصـــير منه ، أو تحقير الذي يســـبّب حرجًا لهؤلاء السائلين.[27]

---

[23] - المصدر نفسه ، ص : 39 ، خليطا زيال : خليطا مفارقة أي يفارق بعضنا بعضا ، المقصر : المعزل .
[24] - أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، د . حسني عبد الجليل ، ص : 85 .
[25] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 46 . ذكيت : من ذكى الفرس أي بوقوع السن التي تلي الرباعية ، الصروع : من صرعة أي طرحة أرضاً ، قيس : هو قيس بن زهير ، وربيع : هو الربيع بن زياد العبسيان .
[26] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 44 .
[27] - البعد الأخلاقي في شعر عروة بن الورد ، خلاف بو حاله ، ص : 135 .

وتلاحظ أنّ الفعل " سـلي " قد تعدّى إلى مفعولين : المفعول الأول الطَّارِقَ ، والمفعول الثاني أَيُسـفِرُ وَجهِي ، قال المرزوقي : " وقوله : أَيُسفِرُ وَجهِي في موضع المفعول الثاني لسلي ، وقد اكتفى به لأنّ في الكلام إضمار وساغ حذفه لما يدل عليه من قرائن اللفظ والحال ".[28]

ويبدو أنّ الغارات كانت كثيرة ، أو أنّ الحبّ كان كبيراً حتى تطغى هذه المحاورات التي خلّدت الأفكار في أغلب شعر عروة ، الأمر الذي جعل الموت ينزوي ويأتي ذكره عرضاً حينما طغى عليه الحبّ ، يقول من الوافر : [29]

دَعِينِي لِلغِنَى أَسعَى فَإِنّي رَأَيتُ النَّاسَ شَرُهُمُ الفَقِيرُ

إنّ في الفقر عدم ، وفي العدم موت ، ولذا كان الموت أجمل ، يقول من الطويل : [30]

دَعِينِي أَطَوّف فِي البِلَادِ لَعَلّنِي أفِيدُ غِنىً فِيهِ لِذِي الحَقّ مَحمِلُ
أَلَيسَ عَظِيماً أن تُلِمَّ مُلِمّـــةٌ وَلَيسَ عَلَينَا فِي الحُقُوق مُعَوَّلُ
فَإِن نَحنُ لَم نَملِك دِفَاعاً بِحَادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الأَيَّامُ فَالمَـــوتُ أَجمَلُ

من خلال البنية الحوارية يتجلى الهدف عند عروة من كسـب المال والزّاد ، وهو أن يؤدي ما عليه من حقوق من إطعام الفقراء والمحتاجين الذين لا يملكون من يعيلهم ، أو يقوم بأمرهم ، كما يجب عليه أن يؤدي حقوقًا لا يستطيع تأديتها ، وهو في حالة الفقر ، وإلا فالموت أجمل من ردّ الفقراء .

وإذا كان العذل واللوم صادرًا من صاحبته أو زوجته ، فإنّ الواجبـات والحقـوق يتحملانها معًا " وليس علينا " ، وإذا كانت الحياة قد جمعت بينهما على خير ، فإن الموت لن يفرقهما ، وإنما هو أجمل لهما " فإنّ نحن " .

وقد لا نستغرب أنّ الشاعر في هذه الظاهرة – الحب والموت – قصد الثورة على كل شيء ، فهو عند ثورته على تلك الأحكام الجائرة والقوانين الظالمة ، وضع لنفسه قوانين أخرى ، وهكذا عمت ثورته كل حياته ، حتى شعره تخلص في معظمه من تلك المقدمات الطلية التي نعرفها عادة في الشـعر الجاهلي ، وتبدأ بالحديث عن الديار والأطلال والمحبوبة " واتخذوا لهم مذهباً آخر ، وهو مذهب جعلوا محوره حواء الخالدة، ولكنها ليسـت تلك المرأة المحبوبة التي عرفناها عند الشعر القبليين " .[31]

ومن خلال هذه المحاورات الشـعرية ، يتجلى لنا الكشـف عن البنية الحوارية عند عروة ومدى قدرتها على حمل الرؤى الخاصـة بالشـاعر الذي اسـتخدم بنية متعددة المنظورات لفكرة مركزية ، حيث تقوم هذه البنية على إعطاء

28 - الشواهد النحوية والصرفية في شعر عروة بن الورد ، محمد مصطفى القطاوي ، ص : 400 .
29 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 45 .
30 - المصدر نفسه ، ص : 62 .
31 - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ، 266 .

منظورات عدة لحالة معينة ، أو فكرة مركزية أساسية ، وعلى الرغم من كون هذه المنظورات تجليات للفكرة نفسها ، إلا أن كلًا منها تحفل باستقلاليتها الذاتية وكفايتها ، وبذلك تكون الفكرة الأساسية تشبه المولّد أو القالب البنيوي الذي يمكن رده إلى جملة واحدة أو حتى كلمة واحدة ، وتشبه المنظورات النصوص المفترضة التي يتم تشغيلها في النص ككل[32] ، وتتمثل هذه البنية الحوارية في بعض قصائد عروة ، يقول من الطويل : [33]

ذَا المَرءُ لَم يَسرَحْ سُواماً وَلَم يَرُح عَلِيه وَلَم تَعطِف عَلِيه أَقَارِبُه

فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتَى مِن حَيَاتِـــــــهِ فَقِيراً وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقَارِبُه

وَسائِلَةٍ أينَ الرَحيلُ وَسائِلٍ وَمَن يَسأَلُ الصُعلوكَ أينَ مَذاهِبُه

َذاهِبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضَةٌ إذا ضَنَّ عَنهُ بِالفَعالِ أَقارِبُه

فَلا أَترُكُ الإخوانَ ما عُشتُ لِلرَدى كَما أَنَّهُ لا يَترُكُ الماءُ شارِبُه

وَلا يُستَضامُ الدَهرَ جاري وَلا أُرى كَمَن باتَ تَسري لِلصَديقِ عَقارِبُه

وَإِن جارَتي أَلوَت رِياحٌ بِبَيتِها تَغافَلتُ حَتّى يَستُرَ البَيتَ جانِبُه

فالفكرة المركزية أو المولّدة لهذا النص ، تكمن في العلاقة مع الأقارب ، وتظهر هذه الفكرة على النحو التالي :

1 – منظور إنساني عام مجرد في البيتين الأول والثاني ، ويظهر ذلك من خلال توجيه الخطاب والحوار إلى المرء والفتى ، كما أن الفكرة تكتمل في البيتين ، وهي تفضيل الموت في حال عدم عطف الأقارب .

لقد أطال عروة الشرط ، واستوفاه حتى أخذ البيت الأول كله ، وجاء الجواب بعد الفاء ، وأي جواب ! إنه جواب يبدأ بالموت الكريه المزعج ، ولكن الشاعر يجعله خيرًا ، ويأتي به نكرة ليكون شاملًا لكل أنواع الخير ، فالموت خير من حياة ذليلة مهينة اختصرها عروة في الفقر الذي يشتمل على الظلم والإهانة والذل .

ولعلّ هذه الرغبة لدى الشاعر بتوقف مسلسل حياته ، تعبير عن قساوة الزمن وجوره عليه لذا رغب في الموت ، " وهو من أقسى الأشياء التي يرغب بها الإنسان ، ولكن واقعه فرض عليه أن يكون كذلك ، هكذا عانق اللصوص الموت ، وتوحدوا به على الرغم من أن كثيرًا منهم أرادوا التجاوز والقضاء على مجانية الموت من خلال المغامرة والتصعلك " . [34]

32 - أيدولوجية الخطاب وأساليب الإقناع في شعر الصعاليك ، رائية عروة بن الورد أنموذجًا ، أحمد الفلاحي ، ص : 671 .
33 -) ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص :19 ، السوام : الماشية ، يروح عليه : ترد إبله إلى مراحها ، المولي : ابن العم .
34 - الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص ، د . حسين الدخيلي ، ص : 166.

2 – منظور إنساني خاص مجسد في الصعلوك ، وذلك في البيتين الثالث والرابع اللذين يقدمان فكرة مكتملة عن الصعلوك ، وموقفه في حال ضنّ عليه أقاربه .

3 – منظور ذاتي خاص بالشاعر ، وذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة ، وهو يجسد علاقة الشاعر بالإخوان والجيران .

إنّ هذه المنظورات الثلاثة تعمل على تكامل الرؤية من مختلف أبعادها ، ليفرض الشاعر فكرته ، ويجعلها أكثر إقناعًا من خلال محاورته للعاذلة .[35]

ويتضح من خلال استقراء بنى القصائد العذلية في ديوان عروة ، هيمنة بنية المقابلة الحوارية على بقية البنى ، وقد تجسّدت في المقابلة بين الغنى والفقر ، أو الفعالية والسلبية ، أو الكرم والبخل ، وجميعها بدت مترابطة فيما بينها ، في مقابل هيمنة المقابلة بين الموت والحياة على الأغلب في قصائد الشاعر .

ولم يكن الحوار في نصوص العذل السابقة عرضيًا ، بل كان يرتكز على رؤية ذاتية للشاعر ، حيث يجد فيه ضالته لحشد المواقف ، وتصوير الصراع الداخلي ، كما نلحظ أن الشاعر يحاول إعطاء النص قدرًا كبيرًا من الحيوية ، ويبعد القارئ عن الملل الذي يسببه أسلوب السرد والوصف ، لذا لجأ إلى الحوار مع العاذلة ممثلا في (قالت وقلت) ، ليأخذ الأداء الحواري أنماطًا أحادية البعد ، تتكرر أشكالها وتتعدد صورها ، حيث يظل مكتفيًا بقص خارجي ، يحكي الموقف الحواري الحقيقي أو المتخيل والمتمثل في : قالت وقلت .

تلك الممارسة الدرامية ليست فكرة كلاسيكية خالية من العمق ، بل هي سلوك وفعل ، يتعدى حدود القول ، لأنها ذات واعية بقضيتها ، مدركة لأفعالها ، مصرة على صعلكتها ، لذلك تتمادى في الدفاع عنها .

وهكذا نجد أنّ المزاوجة بين المباشرة والحوارية في النسق التعبيري للبناء العذلي عند الشاعر ، ما هو إلّا اختراق للسياق اللغوي التقليدي ، أدّى إلى تفجير طاقات إيجابية لتلك النصوص في مداها اللامتناهي ، لذا نتوصل إلى نتيجة مهمة حول وظيفة الحوار في النصوص العذلية عند عروة ، بأنّها بناء لشخصية الشاعر ، وبناء للحدث موضوع العذل ، وإنّ صوت العاذلة والرّد عليه ، يقدم لنا حوارًا قصصيًا بين الشاعر وعاذلته ، لذا يمكن القول : أنّ النصوص الشعرية العذلية هي نصوص حوارية بجملتها .

المبحث الثاني : بواعث العذل

تسابقت الحوارات الشعرية عند عروة ، لأن يحتل السياق العذلي الذي عبّر عنه الشاعر من خلال حواره مع نفسه ، أو الآخرين ، أو من خلا ل حوار الشخصيات فيما بينها ، لذا كان لزامًا علينا تناول الحالة الوجدانية لدى الشاعر ، لمعرفة البواعث التي أظهرت الحوارات العذلية ، وإن كان يصعب الفصل بينها لتداخلها وتمازجها ، إلا أنّ محاولة

[35] - بنية القصيدة في شعر الصعاليك ، عروة بن الورد إنموذجا ، د. محمد الخلايلة ، ص : 359 .

تناولها تساعد على فهم الذات القلقة لدى الشاعر ، وما يعتنقه من أراء ومبادئ دافع عنها ونقلها لنا من خلال حوارته العذلية .

إنّ العذل ظاهرة إنسانية ، تمتزج بواعث عدة ، وظروف متباينة لتشكيلها ، فتنقسم إلى ذاتية تتعلق بحياة المعذول وظروفه النفسية ، وغيرية ترتبط بالمجتمع ، والأطر الاجتماعية والاقتصادية .

الباعث الاقتصادي .

إنّ الكرم وإنفاق المال ، من أبرز الفضائل الإنسانية عند العرب القدامى ، حيث كانوا يعيشون في ضنك عيش وشدّة من العوز ، ونتيجة للتفاوت المعيشي بين الطبقات ، جعل هناك فئات تحتاج إلى مدّ يد العون والمساعدة ، مما حدا بالآخرين إلى تقديم ذلك لهم .

إنّ هذا الكرم والعطاء كان سلوكًا طبعيًا ، بل كان مدعاة للاعتزاز بالذات ، إلّا أنّ العاذل ينطلق في عذله من جوانب متعددة : إذ قد يكون الحرص على حياة المعذول ، والخوف من هلاك ماله ، أو بناء سياج الأمان لأسرة المعذول ، حتى لا يقعوا في مغبة الفقر والهلاك .

وقد واجه الشاعر هذا الموقف بكل ثبات ، وبيّن جملة الغايات التي يسعى لتحقيقها عن طريق الكرم ، ولهوان المنزلة الاجتماعية وسط القبيلة ، وبين أبناء العمومة سعى هذا الشاعر للغنى لكي يستطيع ارتقاء درجات المجد ، وغير بعيد عن هذا المعنى ، وهوان منزلة الفقير عند النّاس ، وازدراء واحتقار زوجته له ، وتلاعب صبيان الحي به ، كلّ ذلك جعل عروة يسعى للغنى – وليس الثراء – ، ويحاول الخروج من دائرة الفقر الذي ينزل بصاحبه إلى درجة من الهوان على الناس ، بل وعلى الأقارب والزوجات ، يقول عروة من الوافر : [36]

دَعِينِي لِلغِنَى أَسعَى فَإِنِّي ... رَأَيتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ

وأَبعَدُهُمْ وَأَهوَنُهُمْ عَلَيهِمْ ... وَإِنْ أَمسَى لَهُ حَسَبٌ وَخِيرُ

وَيُقصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنهَرُهُ الصَّغِيرُ

وَيُلفَى ذُو الغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ ... يَكَادُ فُؤادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ

قَلِيلٌ ذَنبُهُ والذَّنبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

[36] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 45 .

إنّ عروة يدرك أنّ الغنى المادي هو المقياس الحقيقي لقيمة الإنسان ، لذلك يطلب من عاذلته أن تتركه لحال سبيله ، كي يحصل على المال والثروة ، فالناس تنظر للفقير على أنّه شر ، وأضعفهم وأهونهم عليهم ، فلا خير فيه ، ويقابل بكل احتقار وازدراء من زوجته التي هي أقرب الناس له .

وتلاحظ أنّ العاذلة تبدو أحيانًا صامتة في نصوص الشاعر ، بعد أن أثارت حوارًا سابقًا استدعى من الشاعر الرد والاسترسال في تبرير موقفه .[37]

فهذه الأبيات تجسّد لنا ، حقيقة مرارة الإحساس بالفقر الذي يحسّ به عروة جرّاء هذه الظروف الاجتماعية القاهرة التي تُنزِلُ الفقير أسفل الدرك ، وتعلي من قيمة الغني ، وتتجاوز عن أخطائه ، وهذه الظاهرة الاجتماعية وحدها ، كفيلة بدفع عروة دفعًا نحو الكسب ، لتجاوز هذه العقبة المنيعة التي فرضها المجتمع في وجه الفقراء .[38]

فالنسب الصريح ، والمؤهلات القيادية الذاتية تتراجع أمام الغنى، وقد لمس عروة أن أكثر الناس أصبحوا يقدمون الغنى على النسب الصريح ، " فأكثر الناس تبدّلت قيمهم ، فأكرموا الغني ، وجعلوه سيدًا وإن كان في أصل نشأته عبدًا، وازدروا الفقير، وإن كان صريحًا نسبه " .[39]

وإذا كان طلب المكارم ، وقضاء الحقوق ، والتّشبه بالسادة ، وإشباع غريزة الكرم هي الدافع لديه لطلب الغنى – غنى النفس أو ثراء المال أيهما يقصد – ، ولذا فهو يخبر أنّه بعيد كلّ البعد عن البخل والشح في كل أحواله ، سواء أكان غنيًا موسرًا ، أم فقيرًا معدمًا لا يجد حتى ما يروي به ظمأه ، وكأنّه ينفي كل ما يبعده عن السيادة ، يقول من الوافر :[40]

وَقَد عَلِمَتْ سُلَيمَى أَنَّ رَأيِي وَرَأيَ البُخلِ مُختَلِفٌ شَتِيتُ

وَأَنِّي لَا يُرِينِي البُخلَ رَأيٌ سَوَاءٌ إِن عَطِشتُ وَإِن رويتُ

إنّ للفعل الماضي "علمت " دلالته ، فهو من أفعال الثبوت واليقين ، وكذلك لا تخفى دلالة سليمى التي ربّما يقصد الشاعر بها قبيلته ومجتمعه الذي يحيا فيه ، بحيث يؤكد أنّه صار معروفًا بكرمه وبذله ، ليس عند زوجته فحسب ، وإنّما عند الملأ من قومه .

لذا يصوّر لنا عروة زوجته في صورة المرآة العالمة بصفات زوجها وأخلاقه ، فهي تحسن التعامل معه ، رغم اختلافها معه .

37 - المرآة في شعر صعاليك الجاهلية ، العربي حمدوش ، ص : 275 .
38 - صورة المرآة في شعر صعاليك العصر الجاهلي ، عبد العزيز بزيان ، ص : 56 .
39 - الانتماء في الشعر الجاهلي ، د . فاروق سليم ، ص : 313 .
40 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 21 .

ونجد عروة يرسم الصورة نفسها ، مع اختلاف الريشة والأصباغ ، فيصوّر عروة الفقير بأنّه لم يصبه فقرًا فحسب ، بل اجتمعت عليه مفاقر جعلته معدما ، وهو يعيل أسـرة أوجبت الحاجة ، الأمر الذي جعل عروة رأفةً به لا ينقصـه حقه ، ولعلّك تلاحظ كيف يجعل عروة – في عديد أبياته - للفقراء حق في ماله ، بحيث غدا هذا المال مالهم لا ماله هو، يقول من الطويل : [41]

تَقُولُ سُلَيمَى لَو أَقمتَ لَسَرَّنَا وَلَم تَدرِ أَنّي لِلمُقَامِ أُطَوِّفُ

ِذَا قُلتُ قَدْ جَاءَ الغِنَى حَالَ دُونَهُ أَبُو صِبيَةٍ يَشكُو المَفَاقِرَ أَعجَفُ

لَـهُ خَـلَّـةٌ لَا يَـدخُـلُ الحَـقُّ دُونَهَا كَـرِيـمٌ أَصَـابَتهُ حَوَادِثُ تَجــرُفُ

وتلاحظ أنّ لفظة كريم وردت نكرة موصـوفة ، فكأنّه لا يخص به كريمًا بعينه ، بل يقصـد به كل كريم ، كريم النفس واليد ، كريم الأصـل والمعدن ، وجاءت الكلمة منونة ، وفي تنوين التنكير عوض ، ولكن عوض عن ماذا ؟ لعله العوض الذي ألزم به عروة نفسه ، بأن يعطيه لكل من أصابته الخطوب .

ولا يخفى عليك أنّ جملة " أصـابته حوادث تجرف " ، جاءت صـفة وليست حالاً يتغير [42] ، فكأنما الشـاعر يلصق به ما يعوزه ويفقره ، لدرجة يغدو فيها كمن يجرفه السيل الذي يطيح به ، ولا يدري في أي أرض يرميه .

ولذا فهو يصمم على الغزو ليكفي امرأته مذلّة السؤال وعيش الذل ، فيسعى للبحث عن مقومات الحياة الفطرية ، فلما افتقدها آثر أن يستردها اغتصابًا من مغتصبيها، فعاش في صراع دائم مع المجتمع ، يقول من الطويل : [43]

ذَريـنِي أَطَـوِّف فـي البِلادِ لَعَلّنِي أُخَلّيكِ أو أُغنِيكِ عَن سُوءِ مَحضَرِي

فَـإِن فَـازَ سَـهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُـن جَـزُوعاً وَهَل عَن ذَاكَ مِن مُتَأَخِّرِ

وَإِن فَـازَ سَهمِي كَفَّكُم عَن مَقَاعِدٍ لَـكُم خَـلفَ أَدبَارِ البُيُوتِ وَمُنظَـرِ

تَقولُ لَكَ الوَيلاتُ هَل أَنتَ تارِكٌ ضَبُوءًا برَجْلٍ تَارَةً وبِمِنْسَرِ

إنّه لا يجزع من الموت ، فهو سـهم مصـوب لا يخطئ صـاحبه ، وإن حان أجله ودقت سـاعته ، فليس له أن يتأخر عن ذلك الموعد المحتوم ، وإنّما يجزع من الفقر .

[41] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 52 ، المفاقر : جمع فقر ، أعجف : عديم ،له خلة : له حاجة، تجرف : أي تهزله وتجرف ماله .
[42] - ينظر الجُمَل بعد النكرات صفات ، وبعد المعارف أحوال ، مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج : 2 ،ص : 473 – 491 .
[43] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 36 .

وتلاحظ في البيتين الأخيرين أنّ السهام : سهم المنية وسهم عروة ، كلاهما يصيب هدفًا لا يخطئه ، وكأنّ الشاعر بهذا السهم يكون ندًا للموت ، أو أنّه لا يصارع الفقر فحسب ، ولكنّه يصارع الموت نفسه .

لقد اختفى صوت العاذلة وتوارى خلف صوت الشاعر الذي أقنعها بحتمية الموت ، ومحاربة الفقر .

يسوق هنا حجة أخرى للعاذلة التي تمثل (الآخر) الرافض ، يسعى فيها لإقناعه وهي تحمل شقين : يمثل الأول كرمه في عدم رضاه ، ما اعتاده الضيف من أن يقعد في دبر البيت ، كما يعكس عزة نفسه التي تأبى أن تجلس عاذلته ، أو من يسعى لإطعامهم من الصعاليك ، في هذا الموقف المذل .

وتركيز الشاعر على الحوار المتبادل ، يهدف إلى نوع من تجلية المواقف ، والتنفيس المضمر عن المكبوتات ، ومكنونات النفس ، ووسيلة إقناع فعالة ، تبدو فيها سمة الفخر جلية ، ويسلّط الضوء على ميزاته التي يفخر بها ، ذلك أنّ محاورته للمرآة التي تظهر خوفها من الإنفاق ، يؤكد كرمه ، ومحاورته المرآة التي تظهر خوفها من المخاطر ، يؤكد شجاعته وبطولته ، وكلّ محاولة في الحوار تعكس صفة من صفاته التي تربط مفهوم الجمال بالعمل القيّم ، فما دامت الحياة قادرة على تحقيق هذا العمل ، فهي جميلة ومطلوبة ، لكنّها إن عجزت عن ذلك ، فالموت أجمل منها بكثير ، إنّ في مثل هذا الفهم سموًا مبكرًا لإدراك قيمة الوجود والعدم .

وحين لا تكفي صورة البؤس والشقاء بالجلوس خلف أدبار البيوت يأتي الشاعر بكلمة " منظر" نكرة لكي تتخيل كل منظر تعيس ومحزن ومخزٍ لتلك الجلسة ، وذاك الانتظار لحسنات المحسنين .

وهي نظرة لم تقتصر على رأي الشاعر فحسب، بل رأتها زوجته التي كانت تخاف عليه من الخروج للغزو، ولكن لا سبيل غير ذلك ما دام المجتمع يتنكر للفقير، ويهينه ، ويكرم الغني ، وهو ما لمسته زوجة عروة ، لقد اتّخذ عروة من تساؤلات عاذلته وسيلةً للحثّ على الغزو والمخاطرة بنفسه ، وتعرضه للأخطار طلبًا للمال ، يقول عروة من الكامل : [44]

قَالَت تُمَاضِرُ إِذ رَأَت مَالي خَوَى ... وَجَفَا الأَقَارِبُ فَالفُؤادُ قَرِيحُ

مَالي رَأَيتُكِ في النَّدِيِّ مُنَكِّساً ... وَصِباً كَأَنَّكَ في النَّدِيِّ نَطِيحُ

خَاطِر بِنَفسِكَ كَي تُصيبَ غَنيمَةً ... نَّ القُعودَ مَعَ العِيالِ قَبِيحُ

المَالُ فيهِ مَهَابَةً وَتَجَلَّةً ... وَالفَقرُ فيهِ مَذَلَّةً وَفُضُوحُ

[44] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 24 . خوى : فرغ ، الوصب : المريض .

إنّ المهابة ليست للغني في ذاته ، ولكنّها مهابة المال وتقديره - خاصة - عند النساء اللواتي صوّر عروة جانبًا من صراعهن ، ولومهن ، ولذا كانت زوجة عروة تدفع زوجها إلى الغزو حينًا ، وتخاف عليه أحيانًا أخرى .

ويكشف جهر صوت العاذلة ، وصمت المعذول عن الرغبة الدفينة في نفس عروة ، لمواجهة الأخطار في سبيل الحصول على المال الوفير، لتوفير الحياة الكريمة في محيط أسرته ، ومحيطه الاجتماعي ، ويلتمس لنفسه العذر في المخاطرة استجابة لرغبة العاذلة التي قد تكون ذات الشاعر ، حين تعكس ما يدور في خلده من رؤية حول الحياة ، ويكشف غياب الأنا ، وحضور المرأة في المقطوعة ، عن الصراع العميق الذي يعيشه الشاعر لحظة الأداء ، ويبدو أنّه عمد إلى هذا الأسلوب ليبرز مدى انتصاره على هاجس الخوف ، وتصويره لبطولته وشجاعته .

ولهذا تحرّج عروة من الشكوى واللوم ، واختار طلب المعاش على حد قوله الذي يحذر فيه من الصورة القاتمة التي يلخصها في جفا الأقارب ، فيوجه الدعوة إلى السير في الأرض ، فإمّا الحياة بعز، أو الموت بشرف، يقول من الطويل : [45]

ذَا المَرءُ لَـم يَطلُبْ مَعَاشاً لِنَفسِهِ ... شَكَا الفَقرَ أو لَامَ الصَّدِيقَ فَأكثَرَا

وَصَارَ عَلَى الأدنَينَ كَلّاً وَأوشَكَتْ ... صِلَاتُ ذَوِي القُربَى لَهُ أن تَنَكّرَا

وَمَا طَالِبُ الحَاجَاتِ مِن كُلِّ وِجهَةٍ ... مِنَ النَّاسِ إلّا مَن أَجَدَّ وَشَمَّرَا

فَسِر في بِلَادِ اللهِ وَالتَمِسِ الغِنَى ... تَعِش ذَا يَسَارٍ أو تَمُوتَ فَتُعذَرَا

وَلَا تَرضَ مِن عَيشٍ بدُونٍ وَلَا تَنَم ... وَكَيفَ يَنَامُ اللّيلَ مَن كَانَ مُعسِرَا

ولعلّ دعوى الارتحال ، أول بوادر التحول عن المكان تبدأ بمخاطبة الذات ، ودعوتها إلى عدم الانسجام مع ما يحيط بها ، أو لعلّها الرغبة في إيجاد واقع آخر غير الواقع الذي تعيشه حاضرًا ، وبذلك تدفع ذات الصعلوك إلى تشكيل نسق آخر ، مغاير لنسق حياته الحالية . [46]

ويتبين من خلال حوارات النصوص الشعرية السابقة التي دارت حول عذل الشاعر على كرمه أو فقره وإنفاقه ، أنّ الشاعر لم يكتفِ بالدفاع عن موقفه بكلمات قليلة ، وإنّما أخذ يدعم آراءه بالحجج والبراهين المختلفة التي تبين نظرته للحياة ، ورؤيته للمال .

الباعث الأخلاقي الاجتماعي .

[45] - المصدر نفسه ، ص : 44 . والبيت الأخير غير موجود في الديوان ويوجد في مجموع أشعار الصعاليك ، تحقيق : محمد حمزة ، ص : 62 .
[46] - ينظر الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د. حسين الدخيلي ، ص : 121 .

الأخلاق جزء من ثقافة المجتمع ، ولسان يعبّر عنه سلوك أفراده ، فيحرصون على التحلّي بها ، والارتباط بقيمها سعيًا نحو التوافق بين الفرد والمجتمع ، أو سعيًا للتصالح مع ذواتهم التي ترفض قيمًا سائدة في المجتمع ، يرون إجحافها وظلمها .

وقد تأصّلت المثل الأخلاقية في نفوس أفراد المجتمع الجاهلي ، نتيجة لظروف الحياة التي يحيونها ، والتي تؤدي إلى هلاك محقق بدون تكافل اجتماعي ، وتعاضد قبلي ، لذا نشأت النفوس على حبّ الكرم ، وجبلت على إغاثة الملهوف ، وحماية الجار والطارق .

وحين رأى الشاعر أنّ القبيلة قد حادت عن جادة الصواب ، في بعض شؤون حياتها ، استهان بالقبيلة التي ظلمته ، واستهان بالمجتمع الذي حرمه ، بل استهان بالحياة نفسها ، وآمن بفكرة الفناء في سبيل المبدأ الذي يحيا من أجله ، وكره تلك الحياة التي تجعل الشخص فقيرًا محتقرًا من قبيلته ، مجفوًا من أقاربه ، منبوذًا من مجتمعه ، يقول عروة من الطويل : [47]

ِذَا المَرءُ لَم يَسرَحْ سُواماً وَلَم يَرُح عَلِيه وَلَم تَعطِف عَلِيه أَقَارِبُه

فَلَلمَوتُ خَيرٌ لِلفَتَى مِن حَيَاتِـــــــهِ فَقِيراً وَمِن مَولىً تَدِبُّ عَقَارِبُه

لقد أطال عروة الشرط ، واستوفاه حتى أخذ البيت الأول كله ، وجاء الجواب بعد الفاء ، وأي جواب ! إنّه جواب يبدأ بالموت الكريه المزعج ، ولكن الشاعر يجعله خيرًا ، ويأتي به نكرة ليكون شاملًا لكل أنواع الخير ، فالموت خير من حياة ذليلة مهينة اختصرها عروة في الفقر الذي يشتمل على الظلم والإهانة والذل ، مع اقترانه بسموم أبناء العمومة .

لذلك تنشطر القصيدة ضمن موضوعين أساسيين : أحدهما شعر الصراع ، ويمثل موضوعها ، والآخر هو الاجتماعية التي تشمل حياته ، وصلاته الاجتماعية ، وهو في كلا الشطرين يسعى لمخاطبة المتلقي ، ويبحث عن قناعته ، لأنه ينطلق من الذات الفردية ، ليحيط بما حولها من ذوات ، فيتنامى الإحساس الفردي ليصل إلى إحساس جماعي بهذا الفعل ، أو تلك القيمة ، لذلك نشعر أنّ الشعر عنده وسيلة إقناع وخطاب للآخر الذي يمثل العاذلة / القبيلة ، لأنّه لا ينهم من الخيال فيه ، بل هو تصوير لواقعه ومنهجه ، ويعكس في الوقت نفسه ، صراعه من الإحساس بالضياع من ظلم أبناء العمومة (مَولىً تَدِبُّ عَقَارِبُه) .

ولعلّ هذه الرغبة لدى الشاعر ، بتوقف مسلسل حياته ، تعبير عن قساوة الزمن وجوره عليه لذا رغب في الموت ، " وهو من أقسى الأشياء التي يرغب بها الإنسان ، ولكن واقعه فرض عليه أن يكون كذلك ، هكذا عانق

[47] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص :19 ، السوام : الماشية ، يروح عليه : ترد إبله إلى مراحها ، المولي : ابن العم .

اللصوص الموت ، وتوحدوا به على الرغم من أنّ كثيرًا منهم أرادوا التجاوز والقضاء على مجانية الموت من خلال المغامرة والتصعلك " .[48]

ويبدي الشاعر استغرابه من خشية الموت ، ويتساءل فيم الخشية منه ما دام كل حي ملاقيه سواءٌ من كان يخاطر بنفسه ، ويوردها المهالك ، أو من أحجم ، وآثر السلامة ، وبقي في بيته وسط أهله ، بل يقدم الشاعر تساؤلًا يقلب الصورة ، ويثبت أنّ الموت قد يصيب المتخلّف ، وينجو منه المغامر الجسور ، يقول عروة من الطويل : [49]

أَرَى أَمَّ حَسَّانَ الغَــداةَ تَلُومُنِــي ... تُخَوّفُنِي الأَعَداءَ وَالنَّفسُ أَخوَفُ

تَقُولُ سُلَيمَي : لَو أَقَمتَ لِسرّنَا ... وَلَم تَدرِ أَنّي لِلمُـــــــقَامِ أَطوّفُ

لَعَلَّ الّذِي خَوَّفَتِنـــا مِن أَمَامِنَا ... يُصَادِفُه فِي أَهلِهِ المُتَـــخَلِّفُ

يحاول عروة في هذه الأبيات – مع صــلابة رأيه - أن يهدّئ من روع زوجته ، ويثنيها على عادة العرب الذين يثبت المؤرخون أنهم لا يعزون المرأة إلا أن تكون أمًّا ، ويبين لها في البيت الثالث بما لا يدع مجالًا للشــك أنّه قد يصادفه الموت إذا استمع إلى كلامها ، وأقام معها ، وترك الغزو ، وهي تصاريف الأقدار التي تحل على الإنسان دون أن يستطيع لها ردًا ، أو يحاول منها فكاكًا .

وأمّ حسّان وسليمى هما رمز لصوت الذات الشاعرة ، يثيره الصراع بين إقدام تفرضه الحياة الرغيدة المتحققة في أفعال الصعلكة ، وإحجام عن الفعل خشية الهلاك ، لذا حاول الشاعر تهميش أمّ حسّان – صوت الذات السلبية - ، وبذلك تكون أمّ حسّان إسقاطًا لذات الشاعر ، فقد حمّلها صراعه الداخلي تحت رمز الأنثى المترددة والمتخوفة ، المثبطة لهمم الأبطال ، وهذا القلق الذي يسكن الشاعر دافع قوي لاستحضار صورة العاذلة ، التي تشبه طبيعة الرجل ، فالشاعر يحاول بذلك إيجاد رفيقة ، تستطيع أن تتلقى بأقل ما يمكن من الأضرار ، إسقاط نفسه ، كما أنّه يسقط لومه الداخلي على صورة المرآة (أمّ حسّان – سليمى) ، ليسوغ لذاته الإقدام على الفعل ، بحثًا عن لقمة العيش ، وهي بلا شك أسباب مغرية لخلق الفعل البطولي عند الشاعر ، ومنحه أملًا في الحصول على مراده ، موكدًا أنّ الموت حقيقة لا مفر منها ، لذا يصادف الشاعر في غاراته ، كما يصادف المتخلّف في بيته وبين أهله ،وما ذلك بعذر للتراجع .

ولذا فهو يحاول أن يترجاها مرة أخرى ، بأن تدعه وشأنه الذي هو ماضٍ فيه ، فهو لا يملك من أمره شيئًا ، يقول من الطويل : 50

48 - الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص ، د . حسين الدخيلي ، ص : 166.
49 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص :51 .
50 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 35- 36 .

ذَرِينِي وَنَفسِـي أَمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي بِهَا قَبلَ أَلّا أَملِكَ البَيعَ مُشـــــــتَرِي
ذَرِينِي أَطـوُّف فِي البِلَاد لَعَلّنـي أُخَلِّيكِ أَو أُغنِيكِ عَن سُوءِ مَحضَرِي
فَإِن فَازَ سَهمٌ لِلمَنِـيَّةِ لَم أَكُـن جَزُوعاً وَهَل عَـــن ذَاكِ مِن مُتَأَخَرِ

إنّه يطلب منها أن تطلق سراحه ، وتعفيه من لومها وتعنيفها له ، وليمضـي لشأنه الذي هو ماضٍ فيه ، وعاقد للعزم عليه ، فلا جزع من الموت الذي إذا حان وقته ، لا يمكن التأخر عنه ، لأنّ لكلّ إنسان أجل وكتاب .

اعتمد الشـاعر في رسـم صـورة العاذلة على البنية الحوارية ، وهو حين يسـتمع للومها وبواعثه ، ثم ينزع إلى محاورتها ، ومحاولة إقناعها بصـواب رأيه ، عن طريق مقارعة الحجة بالحجة ، وعلى الرغم من أنّ ثني المرآة العاذلة ، له إشارة إلى الجانب الضعيف من الذّات البشرية ، المكتنز بالمخاوف من المجهول والموت ، إلّا أنّ المتلقي الآخر حاضر في ذهنه ، وفي الحوار خطاب يقصده به ، وربما اتّخذ المرآة العاذلة ذريعة لنقل حواره الداخلي القائم في نفسه ، بين السعي للمال والتمرّد ، فهو يخاطب عاذلته ظاهريًا ، ويضمر حديثًا بينه وبين نفسه ، في فهم معنى الحياة وأشيائها ، وكأنّه يحتال القوة احتيالًا ، بوساطة اختلاف هذا الحوار الضمني المتوهم ، بينه وبين العاذلة ، إلّا أنّ صورة لن تغيب عن خطابه .

هذه المشاركة لا تتجاوز حدود الإصغاء ، لخطاب تلك العاذلة ، دون الاستجابة لها ، في تغيير نهج حياته ، وربّما كان للذات الثائرة ، والطبيعة المتمرّدة التي عُرِفَ بها ، أثرٌ في تحديد موقفه ، وكأنّه يسـمع بداخلها صـوت القبيلة التي خرج عليها ، فصـوتها ربّما يمثل صـوت المجتمع ، ليأتي صـوته وبنية حواره هو ، يسـعى فيه لرفض ذلك الصوت ، ومحاولة إقناع من يسمع صوته ، بمنهجه .

لقد أيقن الشـاعر أنّ القعود عن الغزو ، وعدم التعرّض للموت لا ينجيه منه ، فكان لا بدّ من الخروج ، ولا بدّ من ملاقاته ، يقول عروة من الطويل : [51]

تَقُولُ سُلَيـمي : لَو أَقَمتَ لِسرّنَا وَلَم تَدرِ أَنِّي لِلمُـقَامِ أَطوّفُ
لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفتَنِـــا مِن أَمَامِنـــا يُصَادِفُه فِي أَهلِهِ المُتَـــخَلِّفُ

" إنّه صراع مستمر بحثًا عن الرزق ، أو طلبًا للثأر ، فليس هناك استقرار أو اطمئنان ، فالإرادة والهمّة العالية ، لا تقبل بالخضـوع والذل ، بل تجعل هذه الدوافع والحوافز ملهمًا للوصـول إلى الغايات التي تريح النفس للمسـاهمة في العطاء والبذل " . [52]

51 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 51 .
52 - ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك ، د . فتحي إرشيد ، ص : 175 .

وهذا الإطار للمرآة العاذلة الذي وظّفه في مطلع قصيدته ، يمثل لوحة فنية تُمهّد لغايته ، وممرًا يُعبّر فيه عن عقيدته الراسخة ، في فلسفة الوجود ، ومفاهيمه الخاصة للأشياء ، فضلًا عن قدرته الإبداعية المميزة ، كما أنّ لصدق تجربته وواقعيته ، أثرًا كبيرًا فيما نلمسه من زخم نفسي ، وتصاعد لحدة المعاناة والانفعال الوجداني ، دون أن يمنعه ذلك من اعتماد الأسلوب الحجاجي والحواري ، المتكئ على الحجة والبرهان ، في تبرير منهجه وقناعته الذي لامته فيه ، وهو حين يرفض لوم زوجته العاذلة ، لا يعني تجاهلها ، قدر ما يعني قناعته الراسخة ، وإيمانه المطلق بصواب عقيدته ، وذلك عن طريق أسلوب التحاور معها ، وبيان مسوغاته ، فعقيدته في البذل والكرم ، تعني عنده الموت والحياة فقط ، بل لها بعد فلسفي ، تمثل بسرّ المجد والخلود .

إنّ في الموت حكمة ، وفيمن مضى عبرة ، وهي أنّ الحياة واحدة ، والموت واحد ، فلا خوف من الموت ، ولا رغبة في الحياة ، ولتكن الحياة عزيزة كريمة ، كحياة أسلافه وساداته ، يقول عروة من الطويل : [53]

تُخَوِّفُنِي رَيبَ المَنون وَقَد مَ ضَوا لَنَا سَلَفٌ قَيسٌ مَعاً وَرَبِيعُ

وعانى عروة من عذل زوجته ولومها له ، حتى كثر ما نهته عن الغزو، يقول عروة من الطويل : [54]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّومَ يَا ابنَةَ مُنذِرٍ وَنَامِي فَإِن لَم تَشتَهِي النَّومَ فَاسهَرِي

ذَرِينِي وَنَفسِي أُمَّ حَسَّانَ إِنَّنِي بِهَا قَبلَ أَلَّا أَملِكَ البَيعَ مُشتَرِي

ذَرِينِي أُطَوِّف فِي البِلاَدِ لَعَلَّنِي أُخَلِّيكِ أَو أُغنِيكِ عَن سُوءِ مَحضَرِي

فَإِن فَازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُن جَزُوعاً وَهَل عَن ذَاكَ مِن مُتَأَخَّرِ

وتلاحظ أنّ الشاعر – برغم حزمه وجدته – يتوسّل إلى زوجته أن تقلّ من لومه ، ممّا يوحي بأنّها كانت دائمة اللوم له ، بدلالة استخدامه للفعل " أقلّي " ، فيبدو أنّه قد يئس من أن تكف عن لومه ، ويبرز حبّ الشاعر واحترامه لزوجته ، فيناديها بأحبّ الأسماء إليها ، فيكنيها مرة بأبيها " يا ابنة منذر " ومرة بابنها " أمّ حسّان " ، ولعلّه كان يريد أن يلفت عناية انتباهها أنّ ما يفعله الآباء يبقى للأبناء ، فكما تعتز هي بأبيها منذر ، عليها أن تبقى لابنهما حسّان ما يعتز به ، وهو الأحاديث الباقية التي تبقى ذخرًا للأبناء . [55]

فالحوار الشعري هنا نشاط تواصلي ، يتقصّد التأثير الذي تتحقق معه غايات ومقاصد ، رسمها هو لحواره ، بما ينسجم مع السياقات التواصلية ، نشمّ فيه خطاب الرفض والمعارضة ، فضلًا عن القلق الذي يمثله صوت العاذلة .

53 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 46 ، قيس: هو قيس بن زهير، وربيع: هو الربيع بن زياد وهما من سادات عبس .
54 - المصدر نفسه ، ص : 35- 36 ، أخليك : أي أقتل عنك فأفارقك ، سوء محضري : أي أغنيك عن المسألة .
55 - ينظر الشعر الجاهلي : دراسات ونصوص ، د. فوزي أمين ، ص : 418 - 419 .

لقد جسّدت القصيدة معاني التشضّي ، واستفزّت مسائل الحضور والغياب ، والوجود والعدم ، لتفرز في وعينا أسئلة متّصلة بجوهر الكينونة .

هل يمكن أن نعدّ هذه الثورة ، وذاك السلوك منهجًا اشتراكيًا ، يتلاءم مع الواقع المعرفي في ذلك العصر ؟ لاسيّما وأنّ الشاعر يقدم لنا موقفًا فكريًا ونفسيًا مكثّفًا ، تجاه ما يعانيه من ضياع وتشتت ، من تلك القيم المرفوضة في القبيلة ، فقلقه هنا فعل نفسي ، يسعى إلى هدم الواقع المتردّي ، باعتبار أنّه قلق على ما كان ، وقلق على ما سيكون ، ، تبدو فيه صورة المخاطب جلية بوضوح .

ويبدو فونيم الراء مناسبًا جدًا ، لغرض النص لأنّ سمته المميزة (التكرار) ، مثّلت جانبين : الأول تكرار غزواته ، بحثًا عن المال والغنى ليجود به .

الثاني : تكرار اللوم من زوجته ، التي تمثّل الذات الضعيفة ، فكأنّما أثقلت عليه بالإلحاح ، فخاطبها بتلك الصيغة .

" أمّا الجهر العالي بالراء ، فهو صيحة الشاعر المدوّية في وجه مجتمعه ، وسلّم قيمه الظالم ، وصدمته بالحقيقة القائمة على التفرقة بين أفراده ، على أسس غير معقولة ، وغير إنسانية " . 56

ومع هذه المحاورة المفعمة بالحب .. الممتلئة بالاحترام .. المشوبة بالمودة والرحمة .. هل ترى من الموت كرهًا أو رعبًا وبشاعة ؟ أم أنّه يكون جميلًا ؟ أم أنّه يتوارى خلف الحبّ ولا تحس له ركزًا ؟.

ويبدو أنَ الشاعر لم يكن مقنعًا ، أو أنّ غاراته كانت كثيرة ، ومخاطرها أكثر ، فنجد زوجته تلومه ، وتتوسل إليه مرة تلو المرة ، ويتساقط الدمع من عيونها الجميلة ، يقول عروة من الطويل : [57]

تَقُولُ أَلَا أَقصِر مِنَ الغَزوِ وَاشتَكَى لَهَا القَولَ طَرفٌ أَحوَرُ العَينِ دَامِعُ

سَأُغنِيكِ عَن رَجعِ المَلامِ بِمُزمَعٍ مِنَ الأَمرِ لَا يَعشُو عَلَيهِ المُطَاوِعُ

لَبُوسٌ ثِيَابَ المَوتِ حَتَّى إِلَى الَّذِي يُوَائِمُ إِمَّا سَائِمٌ أَو مُصَارِعُ

ولا يملك الشاعر أمام دموع المرأة إلا أنّ يحاول تهدئة روعها، وإقناعها بأنّ الموت قد يصيبه في أي مكان غير الغزو ، بل لعلّ منيته في داره بين أهله وعشيرته ، وهو ما حدث له نهاية حياته ، يقول عروة من الطويل : [58]

أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الأَعدَاءَ وَالنَّفسُ أَخوَفُ

56 - دلالات الرّوي وجماليات الصوت في أدب الهامش ، عروة بن الورد أنموذجًا ، أسامة حيقون ، ص : 132 - 133 . وينظر التحليل اللساني في شعر الصعاليك ، قصيدة رهينة قعر البيت لعروة بن الورد أنموذجًا ، سعاد سليماني ، ص : 113 – 114 .

57 - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 48 ،المزمع : من أزمع الأمر أي ثبت عليه ، يعشو عليه : يقصده ، المطاوع : الموافق على الشيء، يوائم : يوافق ، السائم : الذاهب على وجهه حيث شاء .

58 - المصدر نفسه ، ص : 51 .

تَقُولُ سُلَيمَى لَو أَقَمتَ لَسَرَّنـــا وَلَم تَدرِ أَنِّي لِلمُقَامِ أُطَـــــــوِّفُ

لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفتِنَا مـــِن أَمَامِنَـــا يُصَادِفُهُ فِي أَهلِـــــهِ المُتَخَلـّـِفُ

وتلاحظ أنّ لوم زوجته لا يتوقف ، فتارة تلومه بالليل فيطلب منها النّوم ، وتارة تلومه بالغداة حين يتأهب للغزو ، فيمسى على اللوم ويصبح عليه ، ومع ذلك لا يتبرم أو يتذمر ، ومع هذه المحاورة لعلّك لا تحس بذكر الموت ، فكأنّه جاء عرضًا ، وطغى عليه الحبّ وألغاه .

ولذا كثر في تعبيره ذكر الموت الجميل ، يقول عروة من الطويل : [59]

دَعِينِي أُطَوِّف فِي البِلاَدِ لَعَلَّنِي أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِى الحَقِّ مَحمِلُ

أَلَيسَ عَظِيماً أَن تُلِمَّ مُلِمَّـــــةٌ وَلَيسَ عَلَينَا فِي الحُقُوقِ مُعَوَّلُ

فَإِن نَحنُ لَم نَملِك دِفَاعاً بِحَادِثٍ تُلِمُّ بِهِ الأَ يَّامُ فَالمَوتُ أَجمـــــلُ

يصور الشاعر لونًا من الصراع بين العاطفة والواجب .. بين الحب والكرامة .. وهو ما يحفل به الأدب الكلاسيكي الذي يقوم على مبدأ تفضيل العقل على العاطفة ، وهذا اللون من الغزل الحريص على الكرامة أولًا قد يبدو أقرب إلى الغلظة أو القسوة ، إلا أنّه يمزج بين الفروسية وإباء الضيم والعاطفة الرقيقة .. بين نداء القلب ونداء الواجب .. بين تمنّي اللقاء والتأهب للبين والفراق . [60]

لقد قرر الشاعر من خلال الاستفهام أن تلمّ ملمّة ولا يعول عليه أحد في هذه الملمّة ، غير أنّ جمال الاستفهام يكمن في تقييده بالحال ، فالتقرير لا ينتهي بأنّ وقوع الملمّة أمر جليل ، وإنّما الجليل ألّا يعوّل فيها على الشاعر أحد يطلب منه عونًا ونجدةً . [61]

لقد جمع الشاعر في أشعاره بين عنصرين أحدهما يذكر بالفناء وهو الأصل ، والآخر يذكر بالحياة وهو الحبّ ، فكيف تأتّى له هذا الجمع ؟ وكيف امتزجا حتى صار كأنّهما وجهان لعملة واحدة ؟ وهل طغى أحدهما على الآخر ؟ أو هل فضّل الشاعر الموت ، أو اختار الحبّ ؟

ولعلّ هذه النصوص ، قد كشفت لنا بعضًا من هذه الأسئلة ، لأنّ " المعنى أولًا و آخرًا هو شيء (في) النص ، بإمكانيات دلالية تنطوي عليها عناصر النص الأدبي وتتحفز بها ، وهو أيضًا شيء من فعل القارئ ، يدركه القارئ ، ويلتقطه من داخل نسيج النص ، وليس من داخل بطن الشاعر" . [62]

---

59 - المصدر نفسه ، ص : 62 .
60 - ينظر قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي ، د. سعد دعبيس ، ص : 157- 158- 159 .
61 - ينظر أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، د . حسني عبد الجليل ، ص : 107 - 108 .
62 - تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، د.عبد الله الغدامي ، ص : 122 .

ولذا يمكـن القـول إنّ الشاعر لم يخالفـــــ المألـوف بجمعه بين المتناقضات ، " فالمتناقضات كثيرًا ما تتشابه ، وإنّ الأضـداد كثيرًا ما تتلاقى ، وإنّ اللذة والألم إذا وصـل كلاهما إلى نهايته فما أشدّ شـبهه بالآخر ، حتى ليصـعب علينا أن نميز ، ألذة هو أم ألم ؟ " . [63]

إنّه التمزّق النفسـي .. بين الماضـي والحاضـر .. بين الوجود والعدم .. بين الحياة والموت ، ممّا يجعل قصائده صورة صادقة لمثل من كان في موقفه ، ويمثل تجربة إنسانية يحسّ بها النّاس في كل عصر ، وفي كل مكان . [64]

ولعلّ هذا التمـزّق النفسي هو أوّل ما يميّز هذا الشاعر الذي عانى وجود " جـــدل قوى وتبادل بين المتعـة والألم في شعره ، فهو متفانٍ في عشقه ، وتعذب واستطاب ذلك العـذاب" . [65]

ولكثرة غارات الشـاعر ووداعه لزوجته التي كانت تبكي عليه ، وتعالج ألم الفراق والبعد ، وهو موقف وداع صوّره الشاعر ، يقول عروة من الطويل : [66]

تَقُولُ ألا أقصِر مِنَ الغَزوِ وَاشتَكَى لَهَا القَولَ طَرفٌ أحورُ العَينِ دَامِعُ

سَأغنيكِ عَن رَجعِ المَلامِ بِمُزمَعٍ مِنَ الأمرِ لا يَعشو عَلَيهِ المُطاوِعُ

وإذا كان الشاعر من أكثر أفراد الإنسانية شعورًا بالحياة ، وانفعالًا بتجربتها ، فإنّه أكثر حرصًا على أن يثبت وجوده فيها ، وتنشـأ عنده الرغبة في تحقيق الذات من خلال الفن الشـعري ، ويسـعى إلى الخلود بقوته التي يملكها وهي قوّة الكلمة والشعر . [67]

وتمثّل هذا المسعى عند الشاعر في مواجهة الموت والفناء ، فقد أدرك عروة أنّه ميت لا محالة ، فقرر أن يقاوم الفناء ، وأن يخلّد نفسـه بما يقوم به من أعمال تجعله مدار الأحاديث بين الناس بعد موته ، فالأعمال هي التي تخلّد الإنسان ، وهذا هو الخلود المتاح للبشر الفانيين في هذه الحياة ، يقول عروة من الطويل : [68]

أَقِلِّي عَلَيَّ اللّومَ يَا ابنَةَ مُنـــذِرٍ وَنَامِي فَإن لَم تَشتَهِي النَّومَ فَاسهَرِي

ذَرِينِي وَنَفسِي أَمَّ حَسَّانَ إنَّنِي بِهَا قَبلَ أَلّا أَملِكَ البَيعَ مُشتَـــــــرِي

أُحَادِيثَ تَبقَى وَالفَتَى غَيرُ خَالِدٍ إذَا هُوَ أمسَى هَامَةً فَـــــوقَ صُيَّـرِ

تُجَاوِبُ أحجَارَ الكِنَاسِ وَتَشتَكِـــي إلَى كُلِّ مَعرُوفٍ رَأتهُ وَمُنكـــــــرِ

---

[63] - قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي ، د. سعد دعبيس ، ص : 152.
[64] - المرجع نفسه ، ص : 178 .
[65] - الزمان والمكان وأثرهما ، د. صلاح عبد الحافظ ، ج : 1 ، ص : 296 .
[66] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 48 .
[67] - ينظر الحياة والموت في الشعر الأموي ، د . محمد الزير ، ص : 536 .
[68] - ديوان عروة ، كرم البستاني ، ص : 35 – 36 .

ذَرِينِي أُطَوِّف فِي البِلادِ لَعَلَّنِـــي أُخَلِّيكِ أو أُغنِيكِ عَن سُوءِ مَحضَرِي

فَإِن فَازَ سَهمٌ لِلمَنِيَّةِ لَم أَكُـــن جَزُوعاً وَهَل عَن ذَاكَ مِن مُتَأَخَّـــرِ

وَإِن فَازَ سَهمِي كَفَّكُم عَن مَقَاعِدٍ لَكُم خَلفَ أدبَارِ البُيُوتِ وَمَنظَـــرِ

النتائج والتوصيات

بعد البحث والتنقيب ، اختتم هذا الموضوع ، الذي رافقني طيلة مدة من الزمن ، حيث تناولت هذه الدراسة ، العاذلة تجليات الذات والصوت الآخر في شعر عروة بن الورد ، في مقدمة وتمهيد ومبحثين ، فهذه التجربة العذلية التي مرّ بها عروة ، تولّدت مع الصوت الأنثوي ، وأحاطتنا بقدرة على فهم النص وتأويله ، وبعد المعالجة توصّلت للنتائج التالية :

إنّ موضوع العذل عند عروة ، اقتصر على اللوم على الكرم وإنفاق المال ، والمخاطرة بالنفس ، ولم يتعدّاه إلى غيره من لوم على شرب الخمر ، أو البخل ، أو غيرها من الموضوعات التي تناولها شعر العذل ، عند غيره من الشعراء .

المرآة العاذلة كانت دومًا مشفقة على الشاعر ، حريصةً عليه ، تدعوه للتعقل في تصرفاته ، وكأنّها صوت العقل الواعي ، أو هاجس نفس الشاعر القلقة .

أنّ الشاعر يخاطب عاذلته ظاهرًا ، ولكنّه يضمر حديثًا يجري بينه وبين نفسه ، من خلال اختلاق هذا الحوار الضمني ، تناول موضوعات الفناء والبقاء ، والموت والوجود والخلود .

المرآة العاذلة في شعر عروة ، ذات حضور متناقض ، حين نجدها عاذلة خائفة ، تخشى عليه من الموت ، وتلومه على الكرم ، تتبدّى حينًا آخر ، عاذلة متجاوبة مع ذات الشاعر ، منساقة لرغباته ، هذا التناقض يشي بحقيقة الصراع الذي يعانيه الشاعر ، بين ما يودّه ويخشاه .

حظيت العاذلة الزوج بنصيب وافر من عناية الشاعر ، ولم نجد نصوص عذلية صادرة من أنماط المرآة الأخرى ، كالابنة والأم والأخت ، على غرار نصوص الشعر الأخرى

أدار الشاعر والعاذلة دفة الحوار في النصوص الشعرية ، لذا يمكننا القول : أنّ بنية النصوص العذلية ، نصوص حوارية .

التوصيات .

إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول شعر عروة بالشرح والتحليل .

إجراء الدراسات المقارنة ، والتعرّف من خلال هذه الدراسات على سمات شعر العاذلة ، وأهم شعرائه .

تناول شعر عروة وفق أفق جديدة ، لأنّ في شعر الصعاليك ما يميّز حاسة البحث والمعرفة ، رغم صعوبة الشعر لغةً ومضمونًا .

ويبقى في الأخير شعر عروة بن الورد إحدى اللوحات الفنّية الرّاقية ، التي تصوّر ذلك الجانب الإيجابي ، من حياة العربي ، في ذلك العصر ، من سماحة وبذل وكرم وجود وشجاعة وعفّة ، وغيرها من الصفات التي تدل على أصالة العربي ، وطينته التي تعتبر إلى وقتنا الحاضر مرجعًا مهمًّا في رسم معالم القيم الخلقيّة والإنسانيّة الرفيعة .

المصادر والمراجع .

القرآن الكريم .

اولًا : الكتب العربية .

أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، د . حسني عبد الجليل يوسف ، دار المعالم الثقافية ، الأحساء السعودية ، الطبعة الأولى 2001 .

الانتماء في الشعر الجاهلي ، د . فاروق أحمد سليم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا ، 1998.

تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، د . عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، الطبعة الثانية 2005 .

الحياة والموت في الشعر الأموي ، د . محمد بن حسن الزير ، دار أمية للنشر والتوزيع ، الرياض السعودية ، الطبعة الأولى 1989.

ديوانا عروة والسموأل ، كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت لبنان ، 1964.

الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ، د . صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف ، الإسكندرية مصر ، 1982.

الشعر الجاهلي دراسات ونصوص ، د . فوزي أمين ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية مصر ، 2006 .

الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د . يوسف خليف ، دار المعارف مصر ، 1959 .

شعرنا القديم والنقد الجديد ، وهب أحمد رومية ، عالم المعرفة الكويت ، 1996 .

ظاهرة الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول ، د . فتحي إرشيد شديفات ، الطريق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى 2009 .

الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د . حسين الدخيلي ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى 2011 .

قراءة متعاطفة مع الشعر الجاهلي ، د . سعد دعبيس ، الصدر للطباعة ، القاهرة مصر ، الطبعة الأولى 1989.

لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر ، بيروت لبنان .

مجموع أشعار الصعاليك في العصر الجاهلي ، مخطوط بعنوان : مجموع في علوم البلاغة لابن جني ، دققه : محمد فوزي حمزة ، مكتبة الآداب ، القاهرة مصر ، الطبعة الأولى 2009 .

مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المطبعة العصرية ، بيروت لبنان ، 1995 .

موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، د . حسن جعفر نور الدين ، رشاد للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، 2007 .

ثانيًا : الرسائل العلمية .

السرد في شعرية عروة بن الورد العبسي ، حسيبة برجة ، رسالة ماجستير مرقونة ، جامعة الربي بن مهيدي ، الجزائر ، 2013 .

الصورة البيانية في شعر عروة بن الورد ، دراسة تحليلية ، سودة موسى بله ، رسالة ماجستير مرقونة ، جامعة الخرطوم ، السودان ، 2006 .

صورة المرآة في شعر صعاليك العصر الجاهلي ، عبد العزيز بزيان ، رسالة ماجستير مرقونة ، جامعة منتوري ، الجزائر ، 2012 .

عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي ، أسماء عبد الله الزير ، رسالة ماجستير مرقونة ، جامعة أم القرى السعودية ، 2004 .

المرآة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام ، أحمد سليمان مهنا ، رسالة ماجستير مرقونة ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2007 .

ثالثًا المجلات العلمية والدوريات .

اتجاهات التحليل النصي بين فاينريش وفانديك ، دراسة تطبيقية بين شعر الشنفرى وعروة بن الورد ، علية بيبية ، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ، المجلد 6 ، العدد 16 (ديسمبر 2018) ، جامعة تسبة .

أيدولوجية الخطاب وأساليب الإقناع في شعر الصعاليك ، رائية عروة بن الورد أنموذجا ، أحمد الفلاحي ، مجلة معارف ، العدد 14 (سبتمبر) 2013 جامعة البويرة ، الجزائر .

البعد الأخلاقي في شعر عروة بن الورد ، خلاف بو حاله ، مجلة اللغة العربية ، المجلد 22 ، العدد 50 ، جامعة 20 أوت ، سكيكدة .

بنية القصيدة في شعر الصعاليك ، عروة بن الورد أنوذجا ، د. محمد الخلايلة ، مجلة العلوم العربية ، العدد 38 ، محرم 1437 هـ ، الجامعة الهاشمية ، الزرقاء ، الأردن .

التحليل اللساني في شعر الصعاليك ، قصيدة رهينة قعر البيت لعروة بن الورد أنموذجا ، سعاد سليماني ، مجلة الخطاب والتواصل ، العدد 6 ، مارس 2019 ، المركز الجامعي بعين تموشنت .

تجليات القلق في شعر عروة بن الورد ، قراءة نفسية ، عواري نصيرة ، مجلة الباحث ، العدد 12 ، جامعة سيدي بلعباس .

حوار العاذلة في الشعر العربي القديم ، خالد السامرائي ، مجلة كلية التربية ، المجلد 27 ، العدد 3 (سبتمبر 2016) ، جامعة بغداد .

دلالات الروي وجماليات الصوت في أدب الهامش ، عروة بن الورد أنموذجا ، أسامة حيقون ، مجلة التراث ، العدد 30 (أبريل 2019) المجلد الأول .

الشواهد النحوية والصرفية في شعر عروة بن الورد ، محمد القطاوي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد الأول ، المجلد 12 ، (يناير 2004) ، جامعة الأقصى ، غزة فلسطين .

العاذلة قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، مريم الحارثي ، مجلة البحث العلمي ، العدد 20 ، الجزء 3 ، 2019 .

ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي ، د. علي أبو زيد ، مجلة جامعة دمشق ، العدد الأول ، المجلد 18 ، 2002 .

المرآة في شعر صعاليك الجاهلية ، العربي حمدوش ، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد 41 ، (جوان 2004) ، المجلد أ ، كلية الآداب جامعة قسطنطينة ، الجزائر .